التيارات الفكرية في صدر الإسلام

للدكتور : ابراهيم حركات

طابـع الحيـاة الفكريـة :

اختص القرءان بكونه الكتاب السماوي الوحيد الذي نزل ليكون كتاب علم وعمل بمجرد نزول الآيات الاولى منه (سورة العلق) : وقد نزل القرءان ليضع حدا للتخلف الحضاري الشامل والذي اختلفت درجاته وأوضاعه بحسب الامم . غير ان ما يثير الاهتمام حقا ، هو ان هداية هذه الامم تنطلق من احدى أشدها تخلفا ، ثم تكون على يد شخص لا يقرا ولا يكتب . ومن ثم فان طابع الحياة الفكرية في صدر الاسلام ينطلق من التوعية في اطار المعرفة والتوجيه الشامل للانسان في اخلاقه ومعاشه واكتسابه للخبرات واستقرائه للجزئيات وربط حياته المادية بالروحية . لقد اجتاز صدر الاسلام مرحلة النشوء الفكري المبني على تجميع الجزئيات والارتباط في الوقت ذاته بالنصوص وبالواقع السياسي والعقلي والاجتماعي للمجتمع الاسلامي ، لان العرب ليسوا وحدهم في الميدان ، وعملهم قبل كل شيء ، السير مع القافلة التي تحمل البضاعة الفكرية للجميع والتي يظل القرءان والسنة هاديها الامين والعقل مفتاح تقدمها المكين . وهكذا روي عن الرسول وخلفائه عديد من الاحاديث أو الاقوال في تقدير العلم وما يتعلق بالفكر كقوله (ص) : اذا اعطي الناس العلم ومنعوا العمل وتحابوا بالالسن وتباغضوا بالقلوب وتقاطعوا في الارحام ، لعنهم الله فأصمهم وأعمى ابصارهم (1) . وقال : فضل العلم خير من فضل العبادة . وقال علي : محبة العلم دين يدان به : به يكسب الانسان الطاعة في حياته ، وجميل الاحدوثة بعد وفاته ، والعلم حاكم ، والمال محكوم عليه (2) . ومن اقوال

---

(1) ابن عبد ربه ، عقد ، 2 ، 80 .

(2) ن. م. ص. 69 .

عمر : تعلموا كتاب الله تعرفوا به ، واعملوا به تكونوا من أهله (3) ، ولا يكاد صحابي بارز أو مثقف ذو عطاء في الاسلام لم يرد له قول في اكتساب المعرفة اذا لم يكن من صناعها . وذلك الى جانب التقدير العظيم الذي خص به العلم واصحابه في القرءان . (هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون .. يرفع الله الذين آمنوا والذين أوتوا العلم درجات) الى غير ذلك من الآيات العديدة .

وبهذه الروح انطلقت التوعية الفكرية والدينية في الاسلام من مسجد الرسول وبيته ومجالسه ثم من الصحابة والقراء الذين اصبحوا يعدون بالآلاف ويمارسون حقهم في النضال المذهبي . وهكذا فان اول نواة للجامعة في الاسلام هي المسجد النبوي بالمدينة والذي قام بدور الجامعة الشعبية والدينية ، كما كون آلاف الاطر في صدر الاسلام وبعده .

تنوعت المعرفة في العصر الراشدي الى فرعين :

1 ــ معرفة مكتسبة بالفطرة والتجارب السابقة للعرب .

2 ــ معرفة تخضع للحاجة المباشرة والبيئة العامة للمجتمع الاسلامي وهي في صدر الاسلام من عمل العرب ، مع مساهمة طيبة لعناصر من غيرهم . ويمكن أن ندخل في الصنف الاول ، الفراسة والقيافة وعلم الانساب وحتى الشعر ، بينما يشمل الصنف الثاني دراسة القرءان حفظا وتفسيرا والحديث والفقه والفلسفة الدينية والسياسية .

وكان لدى العرب من قديم معرفة طيبة بالانواء وطبائع الحيوان والنبات واستخراج المياه الجوفية وما يتعلق بالطبيعة التي تحيط بهم عموما ، وستدون هذه الاشياء تدوينا دقيقا ، ابتداء من أواخر القرن الاول الهجري لتكون معتمدا لدارسي اللغة وواضعي المعاجم ، ومن ثم فصدر الاسلام لم يكن بحاجة ملحة الى دراسة اللغة بكيفية مباشرة ، حيث ترك ذلك لمعلمي القرءان ، فيتعلم الاعاجم العربية عن طريق حفظه أو بمخالطة العرب ، واحتاج العرب الى الحساب ولكنه اقتصر على الموظفين المحاسبين يتعلمونه عمن يتقنه ، ولم يلتفت صدر الاسلام الى نشر او تلقين علوم لا تخدم العقيدة والمعاملات الشرعية اليومية ، ولذلك نستطيع ان نطمئن الى

(3) ن. م. ص. 76 .

ان الدور الذي قامت به النظريات المذهبية من خارجية وشيعية وغيرها ، سيكون على بساطته شكلا ومنطلقا ، ذا تأثير عظيم في الانفتاح تدريجيا بعد صدر الاسلام ، على الفلسفة بمفهومها العميق والفكر العلمـي بمعناه الـواسع .

كذلك فان تلقين المعرفة يظل خارج نطاق المصحف القرآني ، مقصورا على الرواية والسماع والحفظ الشفوي ، ولذلك فان المشقة كانت كبيرة في نشر المعرفة على بساطتها شكلا ومحتوى ، اذ لا احـد تقريبا يتناول كتابا فضلا عن ان يؤلفه ، خارج المصحف . فمن غير المعقول ان نتحدث عن نهضة او انطلاقة علمية واسعة النطاق بالمفهوم الصحيح حتى للعصـر الوسيط ، ولكن لا جدال في ان ما انتشر من معرفة عن طريق الاسلام في صدر الاسلام هو بالذات ما كان العرب يحتاجون اليه في ظروفهم الزمنية والمكانية ، بل هو شيء عظيم وطفرة مدهشة اذا قيست بالتخلف العربي المتجذر قبل الاسلام .

فلاول مرة بالنسبة لاغلبية العرب ستتحول المعرفة الى جهد يبذله العقل في التفكير والضبط والموازنة والتعليل والتعمـق والى اشيـاء ترتبط بالاقتصاد والزراعة والحرب والتجارة والزواج والميراث والحقوق والواجبات ، ان كل ذلك يردد نصوصا ، ولكنه يفهم ويطبق ، وهذه مرحلة من العلم ليست بالشيء الهين

1ـ القـــرءان :

ليس من شان هذه الدراسة ان تستعيد قضايا جمع القرءان بتفصيل وما قيل في تدوين المصحف من روايات : فان المتفق عليه باختصـار ان القرءان تم تدوينه في ثلاث مراحل :

1 ـ العهد النبوي الذي كان للرسول (ص) فيه كتـاب وحـي يدونونه كتابة من غير ان يدونه احدهم مجموعا .

2 ـ عهد ابي بكر الصديق الذي استعيد فيه التدوين فـي مصحف كامل انتقل الى عمر في خلافته ومنه الى ابنته حفصة .

3 ـ عهد عثمان الذي تبين فيه اختلاف الروايات بين الحفـاظ ، ومن ثم اعيد التدوين من جديد بمقابلة الروايات المختلفة مـع صحائف

حفصة ، واعطيت الاولوية للهجة قريش بوصفها افصح اللهجات العربية ، وساهم في هذه المرحلة النهائية من حيث كتابة المصحف العثماني كل من زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام . ولا ندري ما وجه اختيار هؤلاء الصحابة بالذات لكتابة المصحف وليس فيهم من الانصار الا واحد هو زيد بن ثابت ، وهو على كل حال اعلاهم كفاءة واشدهم اتصالا بالرسول (ص) . ولم يكن الاجماع تاما على ترتيب السور ، فان لابن مسعود ترتيبا مخالفا ، ولابي بن كعب ترتيبا آخر ، وكل الترتيبين ذكره ابن النديم في الفهرست ، وعلى كل فترتيب السور لا يخضع لاي اتجاه محدد . وكان عبد الله بن مسعود يناهض عملية فرض المصحف العثماني على الامصار ، لان الخليفة عثمان امر باحراق المصاحف التي تخالفه ، ورفض ابن مسعود تنفيذ تعليمات الخليفة في الكوفة .

وعلى اية حال فان معظم الروايات تم التنسيق بينها في المصحف العثماني بالرغم من خلاف جزئي في القراءات ، حيث يظهر ان الامصار لم تفرط في بعض القراءات الخاصة تمشيا مع حفاظها والملقنين لها . وفي جميع الاحوال يظل القرءان سليما في محتواه من اي تحريف او نقص او تزيد . وقد تمت عملية تدوين المصحف العثماني سنة ثلاثين (4) .

واتسع نطاق تحفيظ القرءان من عهد الخليفة عمر الذي كان يراعي في توزيع العطاء مقدار المحفوظ من القرءان (5) ، واشتد في ذلك في الحواضر والبوادي حتى كان يامر بعقاب من لا يحفظ منه شيئا ، بل ان بعض البدو ماتوا تحت ضربات السياط من اجل عدم حفظ نصيب من القرءان (6) .

واحتاج القرءان مع حفظه الى مفسرين يشرحون ما غمض منه ، وان كان فهم العرب في هذه الفترة لمحتواه اقرب واوضح من فهم الاجيال اللاحقة ، وكلهم او جلهم يعرف لهجة قريش التي هي اهم لهجات القرءان من حيث محتواها كما .

---

(4) ابن النديم ، فهرست ص : 45 ، ابن الاثير ، كامل 3 ، 55 ، ابن خلدون 2 ، 1019.
علي حسن عبد القادر ، نظرة عامة في الفقه الاسلامي ص : 90 ـ 105 .

(5) ابن عبد ربه عقد 1 ، 266 .

(6) صالحاني ، رنات المثالث والمثاني 2 ، 273 .

وكان المفسر يدعى بالقاص . وكان أشهر المفسرين وأول من دون تفسيره هو عبد الله بن عباس الذي كان يلقي دروس التفسير على منبر البصرة (7) ، وكان القصاص يصحبون الجيوش في تنقلاتها لتفسير الآيات التي تتعلق بقضايا الجهاد والحياة اليومية .

2 ـ الحديث والفقه :

السنة النبوية تشمل اقوال النبي وافعاله ، واقواله هي الاحاديث التي القاها في مجالس عامة او خاصة او سمعها منه أفراد منفردون ، وهي تتمم القرءان من حيث التفاصيل ، وتبدو السنة في مجموعها ضرورية للتعرف على الخطوط الاساسية للفقه الاسلامي من حيث العبادات والمعاملات ، واذا فالفقه يظل في صدر الاسلام فقه قرءان وسنة بالدرجة الاولى ، ولكن دور الاجتهاد فيه مع ذلك دور طيب . والمحدثون في العصر الراشدي كثيرون أ منهم ابو هريرة وعبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت والخلفاء الاربعة وعبد الله بن عمر وآخرون كثيرون رجالا ونساء . ولكن ابرز رواه الحديث عائشة بنت ابي بكر وزوجة الرسول (ص) .

والواقع ان الفقه كان لا يزال بعيدا عن التجميع والتدوين ، بل ان مما يلفت النظر ان يسبق تدوين الفقه تدوين معظم مدونات الحديث الاساسية، لان النوازل كثيرة والمسلمون قد صاروا بحاجة الى دراسات مفصلة لما يهمهم من القوانين الدنيوية ، وكل هذه الاشياء ستتاخر الى بداية العصر العباسي وما وراءها .

وقد اعتبر علي حسن عبد القادر (8) ان مصادر التشريع في العهد النبوي كانت هي : العرف العربي ، والقرءان واجتهاد الرسول .

واذا راعينا وجود اعراف أخرى بالبلاد المفتوحة في العصر الراشدي فتصبح مصادر التشريع حينئذ هي : 1) العرف لدى المجتمعات الاسلامية . 2) القرءان . 3) السنة . 4) اجتهاد الصحابة وآراءهم . وهنا لا ينبغي ان يعتبر الا الذين برهنوا عن تمرسهم بالقرءان والحديث

(7) جاحظ ، بيان ، 1 ، 345 .

(8) علي حسن ، نظرة عامة في تاريخ الفقه الاسلامي ص : 54 .

وممارسة الاحكام ، اذ ليس كل من نطق براي او حكم او روى حديثا يضاف الى سلسلة الائمة .

ولما كان الاجتهاد يفتح بابا للخلاف عند تعدد الآراء ، فقد نشأ الخلاف بين كبار الصحابة أيضا في أمور معينة تتعلق بالعادات والعبادات ، ورد هذا الخلاف عند بعض المتأخرين الى مدى اجتهاد الصحابي في فهم القرءان او الحديث او أعمال النبي (ص) (9) . ومن ثم فلا يوجد عمليا اجماع حقيقي للصحابة في كل الاحكام والنوازل ، ولكن يمكن اعتبار راي الاغلبية إجماعا (10) ، وبدون ذلك لا يصح ان يقال أن هناك اجتهادا في هذا العصر.

3 ـ الفلسفة الدينية والسياسية :

لم تبدا أسس الفلسفة الدينية بالقرن الرابع الهجري ولا بالعصر الاول الذي ظهر فيه المعتزلة والاشاعرة ولا بالعصر الاموي الذي تجسمت فيه عقائد الخوارج . بل تنطلق هذه الفلسفة من القرءان الذي جادل أهل الكتاب والمجوس والطبيعيين ، وعلل الظواهر العلمية وربطها بالعقل والروح واعطى للتصوف منطلقا من نبذ مباهج الدنيا او عدم الاغترار بها ، وزكى قيمة العقل والفكر في كل ما يحيط بالانسان من ظواهر الكون والحياة ، ان الفلسفة الدينية هي قبل كل شيء ، فلسفة بيئية وتاريخية . فهي بيئية لانها ارتبطت بواقع المجتمع الاسلامي والمجتمعات التي تتعايش معه وتناهضه في الفكر والعقيدة ، وهي تاريخية لانها تناولت المنطق الجدلي حول قضايا الايمان والعقيدة لشعوب بينها من باد وانقرض ، وبينها من تطورا وحافظ على مفاهيمه القديمة . فليس عجيبا والحالة هذه ان يكون عصر الراشدين بما ضمه من تناقضات سياسية على الاخص ، عصر مراجعة لا فحسب لفلسفة الحكم التي لم يحدد العهد النبوي صيغتها كاملة خارج نطاق فكرة الشورى ، بل كذلك لموقف المسلم من الحياة ومن هؤلاء الذين لا يعتقدون اعتقاده في اطار مذهبي معين ، ان هذه المراجعة في العصر الراشدي لا تبطل أسس الاسلام كما وضعت في العهد النبوي ، ولكنها تقدم مفاهيم جديدة تختلف خدمتها للاسلام بين السلب والايجاب .

---

(9) ن. م. ص. 87 ـ 88 .

(10) ن. م. ص : 89 ـ 90 . وراجع سلسلة الرواة عن النبي (ص) في المنتخب من ذيل المذيل للطبري ص : 36 ـ 65 . ومن النساء : ن. م. ص : 81 ـ 87 .

4 ـ الفكــر الصوفــي :

نجد هذا الفكر ينطلق اذا :

ـــ قبل كل شيء ، من القرءان الذي يحذر المسلمين من الاغترار بنعيم الدنيا ويعدهم بحياة اسعد في الآخرة ، اذا استعدوا لها بالعبـادة والعمل الصالح ، وفي كل حال ليست دعوة القرءان والاسلام اصـلا الى التقشف المطلــق .

ـــ ثانيا : سنة الاعتكاف الذي هو ملازمة المسجد أيامـا معدودة للعبادة والانقطاع للتأمل والذكر .

ثالثا : الدعوة الملحة من الراشدين بعد دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم الى احترام المنقطعين للعبادة من غير المسلمين والى عدم الاطمئنان الى خيرات الفتوح والمغانم والتعامل المستمر مع الآخرة مـن طريــق الاحسان وبناء المساجد والتطوع للجهاد مجردا عن أي غرض دنيوي .

فالتصوف الإسلامي الاصيل هو تصوف سني مـن عطاء الحضـارة القرآنية وليس مجلوبا من افكار الهنود ولا الفرس ، وانما الذي طرا أن هذه الافكار وغيرها ستأتي في فترة لاحقة من طريــق الدراسات الفلسفيـة وسيتأثر بها الفكر الصوفي في المشرق اكثر مما يتأثر بها الفكر المغربي .

ومع دعوة الرسول واغلب الصحابة الرئيسيين الى الاقتصار من متع الحياة على ما لا يصرف المومن عن اهتماماته الدنيوية والاجتماعية ولا عن تخصص وقت كاف للعبادة التي هي مجاهدة نفسية ، فان اباذر الغفـاري انفرد بنظرية الزام المجتمع بالزهد والتخلي عما عدا الحد الادنى من القوت اليومي لصالح الجماعة التي هي بحاجة اليه ، ولم تمر هذه الدعوة كصيحة في واد ، فقد احدثت دويا في أوساط المجتمع الاسلامي ، وكان لها اثرها المبـاشر والبعيـد .

وابو ذر هو جندب بن جنادة (بضم الجيمين) من غفارة التي تنتمي الى كنانة (11) ، وهو خامس من دخلوا في الاسلام في العهد النبـوي .

---

(11) حـافــظ عبـر ، 1 ، 33 .

وروى احاديث كثيرة عن الرسول (ص) . وانتقل الى الشام عند تولية ابي بكر الصديق ، وقيل ان عبد الله بن سبأ اتصل به ولفت نظره الى ما يقوله معاوية عامل الشام من أن المال مال الله ولا يقول مال المسلمين كأنه يريد أن يستأثر بهذا المال دونهم ويتعلق بالسلطة الالهية ، ودخل ابو ذر على معاوية فأخذ عليه ذلك والتزم معاوية أن يقول ان المال ما المسلمين ، ثم دعا أبو ذر بالشام الى تنازل الاغنياء عن أموالهم للفقراء ، ووجد هؤلاء في ندائه قوة تساعدهم على حمل الاغنياء على التخاي عن أموالهم للفئات غير المحظوظة ، واخيرا اضطر معاوية حفاظا على سلطته ان يستأذن عثمان في ترحيله ، فأمر بنقله الى المدينة مع حسن معاملته .

ولما استقبله عثمان استفسره عما يشكو منه اغنياء الشام ، فقال : لا ينبغي أن يقال مال الله ، ولا ينبغي للاغنياء أن يقتنوا مالا . فقال : يا أبا ذر، علي أن أقضي ما علي وآخذ ما على الرعية ، ولا ينبغي أن أجبرهم على الزهد وأدعوهم الى الاقتصاد . على ان أبا ذر واصل دعوته بالمدينة ، ثم استأذن الخليفة في الاستقرار بضواحيها ، وخصص له عثمان ما يقوم به فكان لا يترك شيئا ويتصدق بما أخذ . اما معاوية فقد طرد أسرته التي التحقت به في الربذة من ضواحي المدينة ، وجرى بينه وبين كعب الاحبار نقاش بمحضر عثمان ، لان أبا ذر قال ان اداء الزكاة لا يكفي اذ لا بد ان يحسن الموسر الى الجار والقريب والمحتاج ، فقال كعب الاحبار ، ان من ادى الفريضة برئت ذمته ، فشجه ابو ذر . وكان ابو ذر يتردد على المدينة بطلب من الخليفة ، وكانت وفاته سنة 32 هـ . وقد اختبر كل من معاوية وعثمان صدق دعوته بالعطاء الكثير وتتبع مصيره فوجدوه لا يكاد يترك منه قوت يومه . وقد تكفل بأسرته بعد موته كل من صديقه عبد الله بن مسعود والخليفة عثمان ، وكان اخراج ابي ذر من المدينة ، من اهم المآخذ التي أخذت على عثمان خلال الثورة ضده ، وفي خضم هذه الثورة كان صوت الفئات الفقيرة التي وصفت بالغوغاء في المصادر الاسلامية اقوى الاصوات التي هتفت ضد تبذير ثروات الامة واستيلاء مجموعة من الانتهازيين على مقاليد الحكم (12) .

---

(12) راجع حول ابي ذر : طبري 5 ، 66 و 80 ، ابن الاثير ، كامل ، 3 ، 56 و 67 ، ابن تغري ، نجوم 89 ، ابن خلدون ، 2 ، 1028 ، ووردت بعض اقواله في العقد الفريد ، والبيان للجاحظ وغيرهما . وانظر أيضا ، الزركلي ، اعلام (جندب) .

وتعد نظرية ابي ذر ، في استفادة الجميع من ثروات المحظوظين اول دعوة اشتراكية ثورية في الاسلام . والتزام ابي ذر الصمت الى عهد عثمان له اكثر من دلالة على التطور السلبي الذي حصل في اعادة توزيع الثروات بعد الخليفة عمر .

5 ـ التشيع :

هو مذهب القائلين بامامة علي وخلافته (نصا ووصية ، اما جليا واما خفيا واعتقدوا ان الامامة لا تخرج من أولاده) ، هكذا عرف الشهرستاني مذهب التشيع (13) الذي يختلف بين الاعتدال والتطرف .

على أن عليا اذا كان له مناصرون قبل توليه الخلافة ، فان دور المتطرفين منهم انما يبرز اكثر فأكثر بعد توليته ، وهم الذين تزعمهم عبد الله بن سبأ الذي كان يهوديا ثم اسلم نفاقا وفتح باب الغلو في التشيع حتى زعم أن عليا حي لم يمت لان الذات الالهية حلت فيه وانه سيظهر مرة أخرى لتطهير الارض من الجور وان تناسخ الطبيعة الالهية تنتقل تباعا الى الائمة بعده وذلك ما يسمى بالرجعة (14) . ومعلوم أن فكرة الرجعة موجودة في الديانة اليهودية بالنسبة لموسى ، وفي المسيحية بالنسبة لعيسى ، لذلك كانت نظرية السبائية في هذا العصر المبكر من الاسلام عملا تخريبيا يتجلى فيه الاثر العميق للفكر اليهودي لا سيما بعد ترحيل يهود الحجاز الى الشام والعراق . ومن ثم فان فكرة المهدي المنتظر وجدت سوقا رائجة في الاوساط الشعبية بالعالم الاسلامي عبر القرون .

كذلك ظهرت الامامية في عهد علي ، بزعامة على بن اسماعيل بن هيثم التمار ، وهم القائلون بامامة علي بالنص ومن غير تعريض بالوصف . ومما استدلوا به من اقوال النبي (ص) : أقضاكم علي ، وقالوا ان الامامة لا معنى لها الا ان يكون أقضى القضاة في كل حادثة على انهم لم يتفقوا في تعيين الائمة بعد الحسن والحسين وعلي بن الحسين . وان كانت هذه مرحلة لاحقة وليست مرحلة صدر الاسلام . وفيهم من طعنوا في كبار الصحابة

---

(13) الشهرستاني ، الملل والنحل ، ص : 174 .
(14) ن. م. ص. مقريزي ـ خط ط. 3 ، 310 .

واعتبروا الراشدين الثلاثة قبل علي مغتصبين للخلافة . وقد تفرق الامامية الى فرق كثيرة لا يهم تفصيلها وآراؤها هذه الدراسة .

ان التنظيمات الشيعية قد تعددت بعد العصر الراشدي لعدة أسباب منها التعاطف مع أسرة معينة من اهل البيت ومنها النفوذ الروحي لهـذا الامام او ذاك ، ودور التلاميذ والعاطفين ، وفي جميع (15) الاحوال كـان الغلاة اقوى نفوذا واكبر عددا كما حدث بالشام والعراق وفارس ، لانهم في الغالب احكم تنظيما واميل الى العمل المسلح مع تنسيق النشاط الدعائي .

6 ـ المذهـب الخارجـي :

ولنقل المذاهب الخارجية ؛ لان بعض اختلافاتهم الرئيسية ظهرت في العصر الراشدي . وهذه الحركة مرت بثلاث مراحل :

اولا : مرحلة الطعن في التحكيم واعتزال علي وخصومه .

ثانيا : مرحلة الجدل مع علي وانصاره .

ثالثا : مرحلة التمرد وانشاء امامة تستظل الحركة بظلها .

ولقد فسر الشهرستاني معنى الخارجي بانه كل من خرج عن الامـام الحق الذي اتفقت عليه الجماعة سواء في عهد الراشدين او بعدهم (16) ، وعلى هذا فتفسير الشهرستاني له مدلول سياسي وديني معا ، لان الخروج عن السلطة القائمة يعني القيام بتحرك مضاد والتخلي عن الالتزام ببيعـة المسؤول الاكبر في الامـة .

وبالرغم من كثرة الفرق الخارجية فان اهمها هي الازارقة والصفرية والاباضية ، وكلهم ظهروا اتباعا ، وقد تميز العصر الراشدي بظهـور أول طائفة سبقت هؤلاء وسموا بالحكمة ، كما سموا بالحرورية ، ومنهم تكونت مجموعة الازارقة ، ومن زعماء المحكمة عبد الله بن الكواء ، وعبد الله بن وهب

---

(15) الشهرستاني م. م. س. ص. 162 . المقريزي م، ص، 300
(16) شهرستانـي م، س، ص : 114 .

الراسبي وعروة بن جرير . وطعن المحكمة في التحكيم في خلافة علـــي . وقالوا بامامة غير القرشي وبامامة اي مسلم توفرت فيه الشروط المطلوبة لا سيما اقامة العدل ؛ ولذلك كانوا لا يطعنون في خلافة العمرين ويطعنون في عثمان ثم في علي لمجرد قبوله التحكيم .

ولكي يطبق المحكمة مذهبهم سياسيا كما سيطبقونه عقائديا ، فقـــد بايعوا بالامامة أحد زعمائهم وهو عبد الله الراسبي سنة 37 هـ .

ولم يتصد علي لمحاربتهم على الفور ، فقد جادلهم جدالا عقائديا اما مباشرة او عن طريق عبد الله بن عباس (17) الذي يعد ابرز مفكري الاسلام في العصر الراشدي . واذا كان العربي من طبيعته ان يجادل في مسائل الحكم كما دلت على ذلك احداث بيعة ابي بكر وفتنة عثمان فان قضيةالتحكيم، وبالتالي ظهور الخوارج فتح المجال لاول مرة لجدل عقائدي لم يات ابدا من اي تأثير أجنبي ، بل هو جدل داخل المجتمع العربي بالذات ، ثم ان الخوارج ينتقلون على الفور بعد وقائعهم مع علي والتي انهزموا فيها وقتل آلاف منهم الى عمان وكرمان وسجستان والجزيرة واليمن (18) ، وهناك يحظى المذهب الخارجي باقبال كبير لانه يرضي طموحات العناصر غير القرشية وغيـــر العربية في اختيار الامام او الائمة حسب ميثاقها المناهض للاوليغارشية .

واذا كان الاتجاه السياسي يجمع الخوارج على طريق واحـــد ، فان الاتجاه العقائدي المختلف ، يفرق بينهم الى حد يبدو فيه التناقض أحيانا، وبهذا الصدد يبدو الازارقة كأول فرقة متطرفة بين الخوارج ، وهم أنصار نافع بين الازرق من تلاميذ عبد الله بن عباس واصدقائه القدامى ، ومـــن مذهبـــه (19) :

اولا : جواز قتل الاطفال والقعدة اي المتخلفين عن القتال ، ونساء من ليس على مذهبهم .

ثانيا : استحلال الامانة ، اى امانة المخالفين للمذهـــب ــ علـى ان تكـــون فيئـــا .

(17) المبرد ، كامل 3 103 و 23 ، ابن عبد ربه عقد 2 ، 606 ـ 207 . وذكر ابن‌النديم في‌الفهرست ص : 272 ، مؤلفات متاخرة للخوارج .

(18) شهرستـــانـــي ، ملـــل 1 ، 117 .

(19) ابن حزم ، الفصل 4 ، 189 ، مقريزي خطط 3 ، 307 ، شهرستاني ملل 1 ، 118.

ثالثا : ابطال رجم الزاني المحصن .

رابعا : فرض الصلاة والصيام على الحائض .

خامسا : الحكم بأن أطفال المشركين في النار مع آبائهم .

سادسا : تكفير مرتكب الكبيرة مع خلوده في النار .

سابعا : عدم جواز التقية قولا وفعلا .

ثامنا : تكفير علي.

على ان النشاط السياسي للازارقة لا يبرز الا ابتداء من ثورة عبد الله ابن الزبير ، وقد خالفهم النجدات ، وهم انصار نجدة ابن عويمر الحنفي الذي خرج باليمامة ، وقد جادل نافع بن الازرق ، وانشا مذهبا جديدا انتشر في عهد ثورة عبد الله بن الزبين ، وهم معتدلون بالقياس الى الازارقة (20) .

ومن المخالفين الاولين لعبد الله بن وهب جماعة النخيلة الذين ظهروا بعد الحروريين وكانوا قد فضلوا التزام الحياد ولجاة علي وخصومه، ولكنهم ما لبثوا ان تمردوا على علي ، فقاتلهم ولم يبق منهم الا أفراد قلائل (21) .

وبالرغم من ظهور فرق كثيرة من الخوارج فقد انقرض معظمها بعد ظهورها بفترة تختلف من جيل الى بضعة اجيال ، فالازارقة انتهى أمرهم بعد حوالي عشرين سنة من ظهورهم . وتحدث ابن حزم عن اختفاء ، جميع النزعات الخارجية ، في القرن الخامس (11 م) باستثناء الصفرية والاباضية .

ويمكن القول دون مجازفة ، ان حركة الخوارج تعبير ذاتي وتلقائي عن اتجاهات المجتمع البدوي المتحمس للايمان الصلب بقطع النظر عما تحمله الروح العقائدية من بعد عن الرافة والحرية المذهبية ، بينما تجد الشيعة انصارها على الخصوص في المراكز الحضرية التي يمكن ان تحتضن

(20) مبرد ، كامل ، 3 ، 105 و 124 ـ 91 و 170 ـ 171 ابن عبد ربه ، عقد 2ـ12ـ2 مقريزي ، خطط ، 3 ، 307 .
(21) مبرد ، كامل ، 3 ، 140 .

الاسرار وتأخذ بالتقية اكثر مما هو الشأن لدى المجتمع البدوي الذي يميل الى الوضوح والصراحة . وان لم يكن هذا الحكم مطلقا بالنسبة للمجتمعين معـــا .

وما من دعوة في الاسلام وجدت نصيرا قويا فى المراة كدعوة الخوارج . ان المراة تذكرنا هنا بأختها المتأخرة في الثورة الفرنسية والتي عبرت ايما تعبير عن استيائها من الظلم والتجويع والهيمنة البورجوازية وهكذا دفعت المراة الخارجية بالرجل الخارجي انطلاقا من العصر الراشدي الى الثورة والمغامرة والتضحية بالنفس في سبيل العقيدة ، وجادلت الحكام مثلــه وخطبت وعبرت بالشعر وبحضورها في المعامع عن نفس الطموحات التي دافـــع عنهـــا الرجـــل (22) .

7 ـ الادب :

لقد يكون تجوزا ، الحديث عن الادب كمستوى معين للثقافة العامـــة يبرز الشعر والنثر فيهما بأوفر نصيب فحتى العهد الاموي لن يحظى بهـــذا الصنف من المثقفين ، على نطاق واسع على الاقل ، ومع ذلك فالشعر والنثر ما يزالان اقرب الى الفطرة منهما الى الصنعة ، فهذا الشعر والنثر غيـــر المصنوع او المصنع ، مع وجود مثقفين يتوفرون على معارف عامـــة مـــن مستوى عال هو الذي يجعلنا ندرك ان ثمة بوادر لوجود ادب فطـــري في صدر الاسلام كالذي يمثله زيد بن ثابت وعبد الله بن عباس وكعب الاحبار والذين لقحوا مواهبهم في الشعر والنثر بثقافة مستمدة من الاسلام قرآنا وسنة واجتهادا . ثم هناك في الصف الآخر شعراء ، كرسوا حياتهم للشعر، بينما نجد في خطب الراشدين وعدد من قادة الجيوش والولاة وغيرهـــم نماذج جيدة للنثر المطبوع المتأثر بمصطلحات الدين شأن الشعر أيضـــا في اغلب الاحوال . لقد كان العصر اذا ، عصر ادب اسلامي يستبعد الغزل والخمريات ويحتفظ بما عداها من فنون الشعر القليدية ، بل ان المدح لا يجد له مجالا كافيا لدى حكام اغلبهم يمارس شعائر الدين بصرامة ولا يمكن ان ينقاد للمتملقين حيث يوجد راي عام يرفع عقيرته ضد الاسراف وسوء التصرف في اموال الامية ، ومع ذلك فان المدح لم يختف ، ولا سيما ما كان الى الصدق اقرب منه الى التكسب .

(22) جاحظ ، بيـــان ، 1 375 ، مبرد كامل ، 3 ، 146 .

وقد تعايش الشعر والنشر مع الاحداث السياسية وكانا لسانها المعبر في عصر لم يوجه اهتمامه الا لتدوين القرءان وحده تقريبا . وهكذا فان مقتل الهرمزان على يد عبد الله بن عمر أثار جدلا حقيقيا بين الذين اتهموه بقتل شخص لم يتأكد تآمره على قتل عمر ، وبين عبيد الله وأنصاره، وفي ذلك يقول زياد بن لبيد الانصاري يخاطب عبيد الله (23) :

اصبت دما والله في غير حلـــه ‏ ‏ ‏ ‏ حراما وقتل الهرمزان له خطـــر

وأسهم الخوارج بوفير حظ في اغناء الشعر السياسي بقصائدهم العفوية التي تعبر عن ثوريتهم واسترخاصهم للدماء البشرية مهما كانت بريئة ، فبعد مقتل علي الذي كان ضمن شروط صداق قطام لقاتله ابن ملجم قال أحدهـــم : (24)

فلم ارمهرا ساقه ذو سماحـــة ‏ ‏ ‏ ‏ كمهر قطام بين غيـــر مبهـــم :
ثلاثـــة آلاف وعبـــد وقينــــة ‏ ‏ ‏ ‏ وقتل علي بالحسام المسمـــم
فلا مهر أغلى من علي وان عـــلا . ‏ ‏ ‏ ‏ ولا فتك الا دون فتك ابن ملجـــم

وقال ابن ابي مياس المرادي الخارجي حول مقتل علي : (25)

ونحن خلعنا ملكـــه من نظامـــة ‏ ‏ ‏ ‏ بضربة سيف اذ عـــلا وتجبـــرا
ونحن كرام في الصباح أعـــزة ‏ ‏ ‏ ‏ اذا المرء بالموت ارتدى وتـــازرا

وكان اثري فنون الشعر عطاء في هذا العصر هو الشعر الحربي الذي تناول حروب العرب الداخلية كحروب الردة وصفين ، والخارجية كحروب الشام والعراق ، وكانت الانتصارات والاعمال البطولية مناسبة للتفاخـــر والتباهي بين الاوساط العربية ، حيث تظل المؤثرات القبلية بعيدة عن أن يزحزحها الاسلام عمليا وان حاربها شريعة وفكرا .

يقول الطاهر بن ابي هالة الذي مزق جموع قبيلة « الاخابث » وانصارهم في حروب الردة بساحل تهامة : (26)

(23) طبري 5 ، 41 ، 42 ، ابن الاثير ، كامل 3 ، 39 ، 40 .
(24) مقـــدسي ، بـــد ، 5 ، 233 .
(25) ابن الاثيـــر ، 3 ، 198 .
(26) ابن الاثير ، 2 ، 254 (مع تعليق محققـــه) .

فلم ترعيني مثل يوم رايتـــــه بجنب صحار في جموع الاخابـث
تتلناهم ما بين قنة خامــــــر الى القيعة الحمراء ذات النبائـث
وفئنا بأموال الاخابـت عنـــوة . جهارا ولم تحفل بتلك الهتاهـث

ولم يكن الطاهر بن ابي هالة هو القائد الوحيد الذي أسهم في الشعر الحربي ، بل لقد كانت موضة العصر ان يتولى القادة انفسهم التعبير عن مفاخرهم الحربية ، وهذا المثنى بن حارثة من ابرز القادة في عهد أبي بكر وعمر يقول مفاخرا بكبس سوق الخنافس قرب الانبار بالعراق حيث استولى على أموال « بكر » النصرانية (27) :

صبحنا بالخنافس جمـع بكـــر وحيا مـن قضاعة غيـر ميـــل
بفتيان الوغـــى من كـل حـــي تباري في الحوادث كل جيـــل
نسفنا سوقهـم والخيـــل رود من التطـواف والشرب البخيـل

ونحن لا نجد في مثل هذا الشعر ما يميزه عن مفامرات عنترة واضرابه من شعراء الجاهلية . واعطت معارك القادسية فيضا من الشعر جرى على لسان قواد من الجيش وغيرهم من المحاربين . وتميز هذا الشعر بنصه على أسماء عدد من قادة الفرس البارزين الذين سقطوا صرعى على يد قائلي الشعر ، يقول طلحة بن خويلد الاسدي (8) :

انا ضربت الجالينوس ضربـــة حين جياد الخيـل وسط الكبـه

وانشد زهير بن عبد شمس البجلـي (29) :

انا زهيـــر وابن عبد شمـــس اوديت بالسيف عظيم الفـــرس
رستم ذا النخـوة والدمـــقس اطعت ربـي وشفيـت نـــفسي

ونسبت لمحارب مجهول الاسم قصيدة افتتحها بالنسيب ثم وصف اهوال المعركة وذكر اسماء بعض الشهداء (30) :

---

(27) ياقـوت ، معجم البلدان ، مادة خنافس .
(28) بـــلاذري ، فتـــوح ، 363 .
(29) ن. م. وص .
(30) يـاقـــوت م، س، مادة قـاد سيـــة .

اذا برزت منهم الينا كتيبة اتونا بأخرى كالجبال تمور
فضاربتهم حتى تفرق جمعهم وطاعنت أني بالطعان مهير
وعمرو أبو ثور شهيد، وهاشم وقيس ونعمان الفتى وجرير

ويظهر ان هؤلاء الشهداء كانوا من جماعة ذوي الراي والفصاحة الذين طلب منهم أن يتولوا « تحريض الناس على القتال » (31) بل ان مما يثير الانتباه أن حضور الشعراء في حروب القادسية كان مطلوبا بصفة رسمية، حيث كان من بينهم الشماخ والحطيئة والعبدي وعبدة بن الطيب وآخرون (32). واذا عرفنا أن معارك القادسية كانت في عهد عمر بن الخطاب، تأكدنا من ان الشعر لم يحارب الا اذا كان للمجون والمتع المحرمة. وقد نالت مختلف المعارك ضد الفرس والروم والفئات التي حاربها العرب، نصيبها من الانتاج الشعري الذي يظل مطبوعا في جملته بطابع الفخر والارتياح لمصرع الآخرين، دون ان يتدخل فيه الحس الديني بمؤثرات تستحق الذكر، خلافا لابواب أخرى من الشعر، بل ان أدب الخوارج الذين يقاتلون اخوانهم المسلمين أعرق في المؤثرات الدينية من ادب غيرهم.

واتخذ الشعر في حرب الجمل اتجاها خاصا من حيث الشكل، فهو في اكثره رجز عادي او مكون من ثلاثة أشطار، والشعر من هذا النوع أقرب منالا واكثر عفوية، اما من حيث المضمون، فهو اما تعبير عن التضامن مع عائشة وانصارها وتنويه بعثمان، واما وقوف بجانب علي وقضيته، مع هجاء عائشة كسيدة أولى للامة، اقحمت نفسها في حرب اخوة، ولكنه في عدة نماذج يعطي للروح العشائرية الدفينة منعشا لم تكن لتجده في الحروب التي قامت ضد عدو مشترك. وعلى كل فان ادب « الجمل » يمثل نموذجا لشراسة الحرب التي خاضها الفريقان ولتصلب كل منهما في موقفه، قال حكيم (بضم أوله) بن جبلة من انصار علي وقد قطعت رجله وهو لا يزال مصمما على القتال :

اقول لما جد بي زماعي للرجل : يا رجلي لن تراعي،
ان معي من نجدة ذراعي

(31) ابن خلدون، 2، 928.
(32) ن. م. وص.

ولنمر ان الهمذاني في نفس الموقعة (33) :

جودت نفسي في رجـــال الازد اضرب في كهولهـم والمـــرد
كـــل طويـــل الساعديـــن نهـــد

وقال شخص يدعى الحارث من بني ضبة من انصار عائشة 34) :

نحن بنو ضبة أصحـاب الجمـــل ننعي ابن عفان بأطـراف الاســـل
الموت أحلى عندنا مـــن العســـل ردوا علينا شيخنا ثم بجـــــل

وانشدت والدة شاب من انصار علي تعرض بموقف عائشة (35) :

لا هـــم ان مسلمـــا دعاهـــم يتلو كتـــاب الله لا يخشاهـــم
وامهـــم قائمـــة تــراهـــم يأتمـــرون الغـــي لا تنهاهـــم
قـــد خضبت من علـــق لحاهـــم

وقد سالت دماء المتحاربين غزيرة في حرب صفين التي تكشفت هي الاخرى عن ادب شعري له مميزات الادب الحربي عامة في هذا العصـــر ، ولكن الرجز فيه أقل تداولا منه في حرب الجمل ، فهل كان الجمـل نفسه ملهما لا شعوريا لمنشدي الرجز الذي كان أول ما استعمل من الاوزان في الجاهلية لحذاء الجمل نفسه ؟

وممن نسب اليهم انتاج شعري في هذه المناسبة علي بن ابي طالب الذي قال في معرض التنويه باحدى فرق جيشه (36) :

اذقن ابن حرب طعننا وضرابنـــا بأسيافنا حتى تولى واحجمـــا
جزى الله قوما صابروا في لقائهـم لدى الموت قوما ما اعف واكرمـــا

---

(33) طبـــري ، 5 ، 208 .
(34) ن. م. ص. 209 .
(35) ن. م. ص : 206 ، وانظر ما يتعلق بادب موقعة الجمل في ن. م. ص : 177–223.
(36) ابن الاثير ، كامل ، 3 ، 152 ، وانظر بعض ما قيل في صفين في ن، م، ص، 741 – 165 .

واذا كان هناك من شعر يتسم ضرورة بالصدق ونيل العاطفة بعيداً عن تعقعة الاوصاف البراقة فهو شعر الرثاء الذي تقدم نماذجه المخصصة لتأبين الرسول عليه السلام صورة تطابق تماما عواطف انصار الاسلام ورسوله ، ومن هذه النماذج ما قالته صفية بنت عبد المطلب عمة الرسول (ص) (37) :

الا يا رسول الله كنت رجاءنا — وكنت بنا برا ولم تك جافيا
وكنت رحيما هاديا ومعلما — ليبك عليك اليوم من كان باكيا
صدقت وبلغت الرسالة صادقا — ومت صليب العود أبلج صافيا

وشعر حسان بن ثابت أغزر شعر قيل في الرسول وقد كان لسان حاله تجاه خصوم النبي والاسلام . ومن رثائه (38) :

وما فقد الماضون مثل محمد — ولا مثله حتى القيامة يفقد
تقطع عنهم منزل الوحي والهدى — وقد كان ذا نور يفور وينجد

وليس احسن تعبير عن فجيعة الجماهير في وفاة عمر من قول زوجته عاتكة (39) :

فعجتني المنون بالفارس والمعلم يوم الهياج والتأييب
قل لاهل الضراء والبؤس موتوا — قد سقته المنون كأس شعوب (40)

وقد رثى عمر ، الشاعر الشماخ وآخرون (41) . وجمع حسان بين الدعوة الجاهلية في الاخذ بالثار ، والعاطفة الدينية ، في رثائه لعثمان (42):

من سره الموت صرفا لا مزاج له — فليات ماسدة في دار عثمانا
لتسمعن وشكيا في ديارهم — الله اكبر يا تارات عثمانا
ضحوا بأشمط عنوان السجود به — يقطع الليل تسبيحا وقرآنا

(37) العمري ، روضة ، ص : 94 .
(38) مقدسي ، بدء ، 4 ، 69 .
(39) عمري ، م، س، ص، 193 .
(40) يقارن بما في : طبري 5 ، 28 ، 29 ، ابن الاثير 3 ، 96 ، 97 .
(41) مقدسي بدء 5 ، 194 .
(42) ابن عبد ربه ، عقد ، 5 ، 45 ، 46 .

وقد دخل الجدل بين انصار عثمان وخصومه ميدان الرثاء الذي دعا الى الاخذ بثار عثمان على لسان الاولين ودافع عن قضية علـي على لسان الآخرين (43) ، وكان ابو الاسود الدؤلي من أقرب الناس الى علـي ، وكان يعتز بتشيعه له ، وخاطب معاوية في معرض رثائه لعلي بقوله (44) :

الا ابلـغ معاويـة بن حـرب — فلا قرت عيـون الشامتينـا
أفي شهر الصيـام فجعتمونـا — بخير الناس طرا اجمعينـا ؟
قتلتم خير من ركـب المطايـا — ورحلها ومن ركـب السفينـا

اما الخوارج ومعاوية فقد هنأوا انفسهم بمقتل علـي الذي مـزق جموعهم بعد محاولات غير ناجحة لاخضاعهم بالحجة والتفـاوض (45) ، ودافع بكر بن حسان الباهري عن شريعة الاسلام في شخص علي مهاجما في ذات الوقت قاتله ابن ملجم ، وهكذا يجمع شعر صدر الاسلام فى هذا الباب شمائل الهالك وهجو اعدائه (46) :

قل لابن ملجم والاقدار غالبـة — هدمت للدين والاسلام اركانـا
قتلت أفضل من يمشي على قـدم — واعظم الناس اسلاما وايمانـا
واعلم الناس بالقرءان ثم بمـا — سن الرسول لنا شرعـا وتبيانـا
صهر النبي ومـولاه وناصـره — اضحت مناقبه نورا ، وبرهانـا

والحق ان المصطلحات والمعاني الاسلامية لم تنتظر العصر الراشدي لتبدأ فى التأثير على الشعر العربي الاسلامي ، بل انها لتظهر بسرعة فى العهد النبوي الذي يتواجه فيه انصار الاسلام مع خصومه بالحـرب اللسانيـة والميدانية معا ، وقد اوردت كتب السيرة والتاريخ الاسلامي عدة نماذج من هذا الشعر الذي يمكن ان نعده اول سجل تاريخي مباشر وجزئي للعهـد النبـوي .

اما ميدان الهجاء فقد توجه الى اشخاص بذاتهم وهم في الاغلب الاعم من كبار الشخصيات ، واستهدف الرسول عليه السلام لحمـلات ابـن

---

(43) طبـر 5 ، 150 – 151 و 6، 87 ، ابن الاثير 3 ، 96 – 97 .
(44) طبـري 6 ، 87 .
(45) مقـدسي ، 5 ، 234 .
(46) ابن الاثير 3 ، 199 ، راجع نماذج من شعر الخوارج خصوصا الصفحات 5 – 14 ، من كتـاب شعـر الخـوارج لاحسان عباس .

الزبعري الذي أسلم فيما بعد (47) ، كما تناول الهجو معاوية وعائشة وعليا وآخرين ، وعلى العموم لم يكن هجوا فزيولوجيا بقدر ما كان انتقاد مواقف وتصرفات ، ولا شك ان الحطيئة بما عرف عنه من بذاءة لسان وروح نفعية يعد سيد الهجائين والمداحين معا ، ومع ذلك لم يسعه وقد ارتد هو الآخر عن الاسلام الا أن ينتقد خلافة أبي بكر دون شخصه (48) :

أطعنا رسول الله اذ كان بيننا   فبالعباد الله ، ما لا بي بكر ؟

أيورثها بكر اذا مات بعده ؟   وتلك ، لعمر الله ، قاصمة الظهر !

لقد ظل الشعر في عامته خلال صدر الاسلام شعر نضال ثم شعر قضايا يدافع عنها هذا الجانب او ذاك في مختلف الفنون على قلتها حينئذ، وتاخذ القضية باهتمام الجميع وباصرار ، ودون تصنع ، ولذلك كان الادب هنا تعبيرا جيدا عن أوضاع الجماهير وتطلعاتها السياسية والمذهبية ؛ ولكنه يخضع لما تخضع له مظاهر الحياة العامة كلها وهو التوجيه الديني واحكام الشريعة التي لا تداري المجون العلني كما لا ترتضي مجون الخفاء.

واما النثر فقد استأثر بمعظمه المسؤولون خلفاء وقادة جيوش وولاة ، او على الاقل فهو جل ما حفظه الرواة وابقته المصادر ، ومن نماذجه الخطب والمعاهدات والمراسلات خصوصا التوجيهات الادارية والسياسية، وكذا الوصايا وبعض الاقوال المبنية على صدق التجربة وقد تذهب بعيدا في أغوار النفس البشرية . وما من شك في ان القرءان والحديث قوي فى نثر العهد الراشدي ، لا سيما من حيث اقتباس آيات القرءان وبعض الاحاديث ، وعلى العموم فالخطب والوصايا والتعليمات تهتم بالدعوة الى التقوى والايمان والتزام العدل ، والتذكير بنعمة الاسلام ودوره في توحيد المجتمعات المومنة والتخويف من سوء المصير في الآخرة ، وتحض المسؤولين في الاقاليم على العناية بالفئات الضعيفة وصرف اموال الامة فيما استحقت له .

---

(47) هناك نماذج كثيرة من شعر ابن الزبعرى في السيرة النبوية لابن هشام وكذا فى تاريخ الطبري .

(48) صالحاني ، رنات المثالث والمثاني ، 2 312 .

وفيما يلـــي بعـــض النماذج :

أولا : من خطبـــة لعمـــر (49) :

« ان الله عز وجل قد ولاني امركم ، وقد علمت انفع ما بحضرتكم لكم، واني اسأل الله أن يعينني عليه ، وان يحرسني عنده كما حرسني عند غيره، وان يلهمني العدل في قسمكم كالذي امر به ، واني امرؤ مسلم وعبد ضعيف الا ما اعان الله عز وجل ، ولن يغير الذي وليت من خلافتكم من خلقي شيئا ان شاء الله انما العظمة لله عز وجل ، وليس للعباد منها شيء ... » .

ثانيا : عهد عياض بن غنم لاهل الرها من اراضي الروم المفتوحة (50):

« بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من عياض بن غتم ومن معـه من المسلمين لاهل الرها اني امنتهم على دمائهم واموالهم وذراريهم ونسـائهم ومدينتهم وطواحينهم ، اذا ادوا الحق الذي عليهم : ان يصلحوا جسورنـا ويهدوا ضالنا شهد الله وملائكته والمسلمون ... » .

ثالثا : كتاب عثمان الى اهل الامصار يستمدهم ضد خصومه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من عياض بن غنم ومن معه بالحق بشيرا ونذيرا ، فبلغ عن الله ما امره به ، ثم مضى وقد قضى الذي عليه وخلف فينا كتابه ، فيه حلاله وحرامه ، وبيان الامور التـــي قـــدر فأمضاها على ما احب العباد وكرهوا ، فكان الخليفة ابو بكر رضي الله عنه ، وعمر رضي الله عنه . ثم ادخلت في الشورى عن غير علم ولا مسألة عـن ملا من الامة . ثم اجمع اهل الشورى عن ملا منهم ومن الناس ، على غيـــر طلب مني ولا محبة ، فعملت فيهم ما يعرفون ولا ينكرون تابعا غير مستتبع ، متبعا غير مبتدع ، مقتديا غير متكلف ، فلما انتهت الامور وانتكـــث الشر بأهله ، بدت ضغائن واهواء ، على غير اجرام ولا ترة فيما مضى ، الا امضاء الكتاب ، فطلبوا امرا واعلنوا غيره بغير حجة ولا عذر ، فعابوا علي اشياء مما كانوا يرضون ، واشياء عن ملا من اهل المدينة لا يصلح غيرها ، فصبرت لهم نفسي ، وكففتها عنهم منذ سنين ، وانا ارى واسمع ، فازدادوا على الله

(49) بـــــلاذري ، فتـــــوح ، ص : 240 .
(50) طبـــــري ، 5 ، 105 .

جراة ، حتى أغاروا علينا في جوار رسول الله (ص) وحرمه وارض الهجرة، وثابت اليهم الاعراب فهم كالاحزاب ايام الاحزاب او من غزانا بأحـــد ، الا ما يظهرون . فمن قدر على اللحاق بنا فليحق » .

رابعا : فقرة من كتاب عائشة زوجة الرسول (ص) الى اهل الكوفة خلال استعدادها لمعركة « الجمل » (51) :

« أما بعد ، فاني اذكركم الله عز وجل والاسلام : اقيموا كتـــاب الله باقامة ما فيه . أتقوا الله واعتصموا بحبله ، وكونوا مع كتابه . فانا قدمنا البصرة فدعوناهم الى اقامة كتاب الله باقامة حدوده ، فأجابنا الصالحون الى ذلك ، واستقبلنا من لا خير فيه بالسلاح ، وقالوا : لنتبعنكم عثمـــان ، ليرتدوا الحدود تعطيلا ، فعاندوا ، فشهدوا علينا بالكفر ، وقالوا لنا المنكر، فقرانا عليهم : (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم) . فتركناهم وذلك ، فلم يمنع ذلك من كان على رايه الاول من وضع السلاح في اصحابي ... » .

خامسا : فقرة من وصية علي لاسرته وقـــد كتبهـــا او بالاصـــح املاهـــا (52) :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أوصى به علي بن ابي طالـــب : أوصى انه يشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبـــده ورسوله ، ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الديـــن كلـــه ولو كـــره المشركون . ثم ان صلاتي ونسكي ومحياي ، ومماتي لله رب العالميـــن لا شريك له ، وبذلك أمرت ؛ وانا من المسلمين .

ثم اوصيك يا حسن ، وجميع ولدي واهلي بتقوى الله ربكم ، ولا تموتن الا وانتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ؛ فاني سمعت أبا القاسم (ص) يقول : أن صلاح ذات البين افضل من عامـــة الصـــلاة والصيـــــام .

---

(51) ن. م. ص : 181 .

(52) ن. م. ج. 6 ، 85 .

انظروا الى ذوي ارحامكم فصلوهم يهون الله عليكم الحساب. الله الله في الايتام، فلا تعنوا افواههم، ولا يضيعن بحضرتكم، والله الله في جيرانكم، فانهم وصية نبيكم (ص) ما زال يوصي (به) حتى ظننا انه سيورث (ـه)، والله الله في القرءان فلا يسبقنكم به الى العمل به غيركم ...».

هذه بعض النماذج من نثر العهد الراشدي التي لو تم تجميعها لكونت مجلدا ضخما يمثل قيمة خاصة في دراسة هذه الفترة لا من الناحية الادبية فحسب، بل ومن النواحي السياسية والاجتماعية والاتجاهات المذهبية ايضا، وما يقال في النثر يقال في الشعر ايضا، وخلافا للراي الشائع بأن هذا العصر عصر مخضرمين فهو ليس كذلك الا بالنسبة لقسم من احيائه، والا فان القسم الاكبر ممن يمثلهم جيل علي ولاحقوه، انما فتحوا عيونهم في احضان الاسلام وتاثروا به واثروا في اتجاهاته بالرغم من بعض الجذور العميقة التي خلفتها الافكار القبلية التي لا يختفي الكثير منها بسهولة في المجتمعات البدوية خاصة.

مصادر ومراجع:

1 ـ ابن الاثير علي بن محمد الجزري: الكامل، تحقيق عبد الوهاب النجار ـ القاهرة، 1348 هـ.

2 ـ ابن تغرى جمال الدين يوسف الاتابكي: النجوم الزاهرة، في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب ـ القاهرة (نسخة مصورة).

3 ـ ابن حزم علي بن احمد: الفصل في الملل والنحل. دار المعرفة ـ بيروت، 1395 هـ ـ 1975 م.

4 ـ ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد: كتاب العبر، وديوان المبتدا والخبر.. (المتداول باسم تاريخ ابن خلدون). تحقيق ص. د. المنجد. دار الكتاب ـ بيروت، 1956 م.

5 ـ ابن عبد ربه احمد بن محمد: العقد الفريد، تحقيق م. س. العريان ـ القاهرة، 1372 هـ ـ 1953 م.

6 ـ ابن النديم محمد بن اسحاق: الفهرست، المكتبة ـ القاهرة، د. ت.

7 ـ البلاذري ابو العباس احمد بن يحيى : فتوح البلدان ، تحقيق الاخوين الطباع ، دار النشر للجامعيين ـ بيروت ، 1377 هـ ـ 1957 م .

8 ـ الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر : البيان والتبيين ، تحقيق السندوبي ، المكتبة التجارية ـ القاهرة ، 1375 هـ ـ 1956 م .

9 ـ (الحافظ) الذهبي محمد بن احمد : العبر في خبر من غبر ، تحقيق ص. د. المنجد ـ الكويت ، 1960 م .

10 ـ الزركلي خير الدين : الاعلام ، ط. ثالثة ـ القاهرة ، 1376 هـ ـ 1956 م .

11 ـ الشهرستاني محمد بن عبد الكريم : الملل والنحل ، تحقيق م. سيد كيلاني مطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ القاهرة ، 1387 هـ ـ 1967 م .

12 ـ صالحاني (الاب) انطون اليسوعي : رنات المثالث في روايات الاغاني ج : 2 ، المطبعة الكاثوليكية ـ بيروت 1923 م .

13 ـ الطبري ابو جعفر محمد بن جرير : تاريخ الامم والملوك . والمنتخب من ذيل المذيل ، نسخة مصورة ـ بيروت عن طبعة الحسينية بمصر.

14 ـ علي حسن عبد القادر : نظرة عامة في تاريخ الفقه الاسلامي ، دار الكتب الحديثة ـ القاهرة ، 1965 م .

15 ـ العمري ياسين بن خير الله : مهذب الروضة الفيحاء ، تحقيق رجاء السامرائي ، دار الجمهورية ـ بغداد ، 1386 هـ ـ 1966 م .

16 ـ المبرد ابو العباس احمد بن زيد : الكامل المبرد ، تحقيق ابراهيم الدلجموني ، المطبعة الازهرية ـ القاهرة ، 1339 هـ .

17 ـ المقدسي مطهربن مطهر : البدء والتاريخ ، نسخة مصورة عن طبعة باريز المنشورة سنة 1899 م .

18 ـ ياقوت شهاب الدين بن عبد الله الحموي : معجم البلدان ، دار صادر ـ بيروت ، 1376 هـ ـ 1957 م .